مجلة دراسات دوليّة

اسم المقال: ترجمة كتاب (بعد حصول ايران على القنبلة: الاحتواء وتعقيداته) للمؤلفان جيمس ليندسي وراي تاكيه
اسم الكاتب: سميرة ابراهيم عبد الرحمن
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/index.php/library/6918
تاريخ الاسترداد: 2026/11/03 01:00 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة دراسات دوليّة جامعة بغداد ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

ترجمة كتاب:

بعد حصول ايران على القنبلة: الاحتواء وتعقيداته[*]

للمؤلفان جيمس ليندسي وراي تاكيه[**]

ترجمة
سميرة ابراهيم عبد الرحمن [***]

عقدت جمهورية إيران الاسلامية العزم على ان تصبح القوة النووية العاشرة للعالم . فهي تتحدى التزاماتها الدولية، وتعارض الضغط الدبلوماسي المكثف الرامي الى الحيلولة دون تخصيبها لليورانيوم، وتهزأ بقرارات مجلس الامن العديدة التي تأمرها بوقف ا لتخصيب، وترفض ان توضح نشاطاتها النووية للوكالة الدولية للطاقة الذرية. ولن تفعل ضربة عسكرية ناجحة تُشن على المنشأت النووية الإيرانية سوى ان تؤخر برنامج إيران لسنوات قليلة فحسب . ولعلها تُعسر، على نحو شبه مؤكد، عزم إيران على ان تصبح قوة نووية . ولعل الاضطراب ا لسياسي الجاري في إيران قد يطيح بالنظام، ويقود الى إحداث تغييرات اساسية في سياسة طهران الخارجية، ويُنهي السعي وراء اسلحة نووية. الا ان مثل هذه النتيجة لا يمكن افتراضها جدلاً . فاذا ما واصل البرنامج النووي الإيراني التقدم بنسبه الحالية، قد تحصل طهران على الما دة النووية المطلوبة لبناء قنبلة قبل انقضاء الولاية الحالية للرئيس الاميركي باراك اوباما.

لا فصال في ان مخاطر دخول إيران النادي النووي معروفة تماماً : إذ سيمنح هذا التطور ايران الجرأة لتضاعف من محاولاتها إلحاق الخراب والدمار في جاراتها، وتشجع الارهاب ضد الولايات المتحدة واسرائيل. وقد يجري تصعيد خطر نشوب حروب تقليدية ونووية في الشرق الأوسط . ويبات الكثير من الدول في المنطقة راغبة في ان تُصبح قوى نووية، وان يُعاد ترتيب التوازن الجيوسياسي

*** Foreign Affairs; March/April 2010.**

**** جيمس ليندسي (James M.Lindsay) نائب رئيس مجلس العلاقات الخارجية (Council on Foreign Relations) ومدير الدراسات واستاذ كرسي موريس غرينبيرغ (Maurice Greenberg) فيه. وراي تاكيه (Ray Takeyh) زميل اقدم في مجلس العلاقات الخارجية ومؤلف كتاب "حراس الثورة: ايران والعالم في عصر ايات الله". وللمزيد حول هذا الموضوع يُنظر "ماذا تقرأ عن السياسة الايرانية " على موقع مجلة الفورين افيرز Foreign Affairs على الانترنت " www.foreignaffairs.com/readinglists/iran**

و"ماذا تقرأ عن الانتشار النووي" على الرابط www.foreignaffairs.com/readinglists/nuclear-proliferation

[***]مركز الدراسات الدولية- جامعة بغداد

في الشرق الأوسط، وربما يجري تقويض الجهود الاوسع لوقف انتشار الاسلحة النووية. ولا جدل في ان ظهور إيران نووية ... حتى وان رضيت بامتلاك المواد والبُنى التحتية الضرورية لتجميع قنبلة على عجالى بدلاً من ترسانة نووية ... ربما يُرى على انه هزيمة دبلوماسية للولايات المتحدة . فقد يتساءل الاصدقاء والاعداء صراحة عن قوة حكومة الولايات ا لمتحدة وصدق عزيمتها على رسم الاحداث في الشرق الأوسط . ولعل رد فعل الاصدقاء يتمثُل في النأي بانفسهم عن واشنطن، وقد يتحدى الاعداء سياسيات الولايات المتحدة على نحو يكون أكثر عداءاً.

على اية حال لا يمكن تفادي مثل هذا السيناريو. وحتى لو اخفقت واشنطن في منع ايران من ان تصبح قوة نووية، فانها تستطيع احتواء ايران وان تُسكن من النتائج التي يطرحها تحدي ايران النووية. ويجب ان توضح لطهران بان حيازتها القنبلة سوف لن يعطيها المنافع التي تتوقعها بل سيعزل النظام ويضعفه . وستحتاج واشنطن ان تضع "خطوط حمراء " تحدد ما تعده سلوكاً غير مقبول . وان تلجأ الى استخدام القوة العسكرية اذا ما تجاوزت طهران هذه الخطوط . كما انها في حاجة ايضاً الى ان تُطمئن اصدقاءها وحلفاءها في الشرق الاوسط بانها تبقى ملتزمة بحزم بالمحافظة على توازن القوة في المنطقة.

لا جدل في ان احتواء ايران نووية لن يكون امراً سهلاً . إذ يتطلب الامر من الولايات المتحدة مهارة دبلوماسية كبيرة وارادة سياسية . ويمكن ان تخفق . فلعل ايران تختار ان تستعرض عضلاتها وان تضع موضع الاختبار صدق عزيمة الولايات المتحدة . وحتى في افضل الاحوال، قد تُعّقد الطريقة المُبهمة لعملية صنع القرار في ط هران جهود واشنطن الرامية لردعها . من ثَّم، يبات من الافضل بمكان لو توقفت ايران . او ان يتم ايقافها . قبل ان تصبح قوة نووية. لا ريب في وجوب مواصلة الجهود الحالية بقوة ونشاط لمحاصرة البرنامج النووي الايراني. إذ يجب الإبقاء على الضغط الاقتصادي على طهران. وان تبقى الخيارات العسكرية لمنع ايران من ان تصبح نووية مطروحة على الطاولة.

لعل هذه الخطوات لا تكون كافية. فاذا ما عبر ملالي ايران المتمردون العتبة النووية، فان التحدي المطروح امام الولايات المتحدة سيتمثل في التأكد من الا تصبح النتائج المقيتة نتائج كاريثية. سيتطلب هذا فهم كيف من المحتمل ان تتصرف ايران نووية، وكيف من الارجح ان يكون رد فعل جيرانها، وما الذي يمكن ان تفعله الولايات المتحدة لترسم رؤى وافعال هولاء اللاعبين جميعهم.

الخلاص والواقعية

مما لا شك فيه ان ايران خصوصية متميزة : فهي ثيوقراطية حديثة تسعى وراء مُثل ثورية في وقتٍ تحمي فيه مصالحها العملية . فبعد ثلاثة عقود من التجريب، لم تتخلص ايران من وخز ضميرها الايديولوجي . فقد اورث مؤسس الجمهورية الاسلامية، الخميني، خلفائه كوزمولوجيا * دينية تُقسم العالم الى قامعين ومقموعين، وتفوض ايران سلطة تخليص الشرق الاو سط لصالح الخير . الا ان الحتمية السياسية للبقاء في السلطة دفعت قادة ايران في اتجاهٍ مختلفٍ ايضاً. إذ عليهم ان يديروا اقتصاد ايران، وان يلبوا متطلبات سكان البلد الآخذ عددهم بالازياد، ودعم مصالح ايران في منطقة مضطربة. واضطر الحكام من رجال الدين لعقد اتفاقيات مع منافسيهم واعدائهم الامر الذي يلين الكثير من الجوانب الصعبة في عقيدتهم. ان مهمة الحكم قد تطلبت منهم تقديم تنازلات بشأن حقائق غير مستساغة واوهنت طاقاتهم الثورية . وغالباً، فان الصِدام بين الايديولوجية والواقعية قد وضع ايران في موقفٍ متناقضٍ يتمثل في تأمين اهدافها ضمن نظام اقليمي تعهدت هي بتقويضه.

وبغية إرضاء نوازعهم الثورية، حوّل قادة ايران معاداة اميركا والمعارضة الحادة المُنظمة لاسرائيل الى اعمدة للدولة . فهاهي طهران تدعم الجماعات المتطرفة مثل حماس وحزب الله والمليشيات الاسلامية المعارضة للقوات الاميركية في العراق . وسعى الملالي، على نحو متقطع، الى إثارة الخراب في مشيخات الخليج (العربي) المتحالفة مع الولايات المتحدة . الا ان النظام دق اسفين بقائه لأن حكامه ادركوا حدود قوتهم ومن ثم مزجوا بين الشعور العام الثوري والتكييف الواقعي. وعلى الرغم من ان ايران اعلنت ان الولايات المتحدة بمثابة الشيطان الأكبر ودعت الى محو اسرائيل الا انها تجنبت المواجهة العسكرية المباشرة مع أي منهما . ودافعت ايران على نحو صاخب عن الفلسطينيين الا انها وقفت موقف المتفرج بينما يذبح الروس الشيشان ويقمع الصينيون الايغور المسلمين . يبدو ان النقاء الايديولوجي كان وما زال اقل اهمية من السعي وراء الحصول على غطاء دبلوماسي من روسيا وإقامة نشاط تجاري مع الصين . وعلى الرغم من دوافعهم الاسلاموية الا ان الملالي يحبون السلطة اكثر بكثير من حبهم الشهادة.

لم يظهر البرنامج النووي لايران بصفته جانباً مهماً من جوانب علاقات البلد الخارجية فحسب بل وبصفته عنصر محدد لهوية ايران القومية . ومن الجدير بالذكر، ان اسباب مواصلة الاستمرار بالبرنامج النووي قد تغيرت كلما كان ينضج . فخلال رئاسة هاشمي رفسنجاني ومحمد خاتمي، كان يُنظر للاسلحة النووية على انها ادوات للردع ضد الولا يات المتحدة ونظام صدام

* الكوزمولوجيا اوعلم الكونيات: علم يبحث في أصل الكون وبنيته العامة وعناصره ونواميسه. (المترجمة)

حسين، من بين امور اخرى. الا ان النخبة الحاكمة الأكثر محافظة الحالية بضمنها الرئيس محمود احمدي نجاد والحرس الثوري الايراني يرون في الاسلحة النووية وسيلة حساسة لضمان هيمنة ايران في المنطقة. بمعنى اخر، ان ايران قوية تحتاج الى بنية تحتية واسعة ونشطة. ولعل الامر يكون أكثر تماشياً وانسجاماً مع واقع الحال الذي تجد فيه ايران نفسها عالقة في الازمة الاقتصادية الاسوء التي عرفتها في غضون سنوات: في هذه الايام، يبدو ان النظام ينظر للسعي وراء الاكتفاء الذاتي النووي على انه سبيل لإعادة احياء حظوظه السياسية.

لا شك في ان تحول ايران الى قوة نووية سيُجرئها ويقويها ولكن اقل بكثير مما تأمله طهران. ان دخول ايران الى النادي النووي قد يضع ايران اساساً في مزاج الشعور بالنشاط . ومن الارجح ان يشجعها على ان تكون أكثر عدوانية . وسيشعر الملالي انفسهم بانهم يمتل كون سلاحاً استراتيجياً يعزز نفوذ ايران في المنطقة، وربما يشعرون بتقييد اقل في التحريض على ثورانات شيعية ضد المشيخات العربية في الخليج (العربي). الا ان أي مساعٍ لإثارة عدم الاستقرار في الجارات السُنية لايران قد تواجه المصير الفاشل عينه مثلما كان للحملات الم شابهه في الماضي. ان رسالة ايران الثورية اغرت تقليدياً شريحة ضيقة من الشيعة في الخليج (العربي). وان المظاهرات المتفرقة في البحرين والسعودية لم تسع لمحاكاة ثورة ايران؛ بدلاً عن ذلك كانت متنفساً للشيعة للتعبير عن حرمانهم من الامتيازات الاقتصادية والسياسية.

ولعل ايران نووية يتم اغواءها لتتحدى جاراتها في الخليج (العربي) بغية تقليل انتاج هذه الجارات للنفط، وتحديد وجود القوات الاميركية على اراضيها . على اية حال، ليس من الارجح ان يساعد حصول ايران على الاسلحة النووية على تحقيق هذه الاهداف . ومرد الامر ان الاسلحة النووية، حسب تعريفها، هي فئة ضعيفة من الاسلحة التي يمكن ان تنجز مجموعة محددة فحسب من الاهداف. إذ تقدم الاسلحة النووية فعلاً قدرة ردع: فعلى العكس من عراق صدام، لن يتم اجتياح ايران كما لن تتم الاطاحة بقادتها .. الا ان امن النظام ومشروع القوة هما افتراضان مختل فان تماماً. وان من العسير تخيل ان انظمة سُنية تذعن لدولة شيعية مُستعيدة قوتها من جديد سواء كانت نووية ام لا. بل من الارجح ان دول الخليج (العربي) قد تتخذ مآمناً تحت المظلة الامنية الاميركية . ومن المفارقة، ان أي سلاح صُمم لضمان هيمنة اقليمية لايران قد يُبعد ها عن جاراتها ويُطيل الى آمد غير معروف وجود القوات الاميركية في محيطها. بمعنى اخر، ان ما يمنحه السلاح النووي من قوة وتمكين قد يحول دون تحقيق مطامح ايران في الهيمنة . ولعل حراس الثيوقراطية، مثل الطامحين بالحصول على السلاح النووي قبلهم، يكتشفون ان القنابل الن ووية ليست صالحة لتحقيق ثقل

دبلوماسي او توسّع استراتيجي.

علاوة على ذلك، وعلى الرغم من ان حماية تقدمها ايران نووية قد تسمح لحماس وحزب الله وجماعات مقاتلة اخرى في الشرق الاوسط لتصبح أكثر حدة في مطالبها وأجرأ في افعالها . فالترسانة النووية والقوة العسكرية الت قليدية الكبيرة لاسرائيل والدعم الاميركي لها قد يُبقي هولاء اللاعبين مُقيدين. ومن نافل القول انه سيسمع صليل سيوف طهران، وستتعهد بتضامنها مع حماس وحزب الله الا انها لن تخاطر بمواجهة نووية مع اسرائيل بغية تقديم العون لنشاطات تلك الجماعات. لقد تعلمت حماس وحزب الله من مواجهتهما الاخيرتين مع اسرائيل بان خوض غمار الحرب مع الدولة اليهودية هو صراع تخوضانه من غير رفيق درب.

ويطرح توقع ان تنقل ايران جهازاً نووياً خاماً الى الجهات الارهابية تحت حمايتها خطراً اخر، الا انه غير مرجح ايضاً. الا ان مثل هذا التحرك قد يضع طه ران بين زندي بندقية الولايات المتحدة واسرائيل بالضبط. وعلى الرغم من ادعاءاتها بالخلاص تقيّدت ايران بحدود واضحة رسمتها لنفسها حينما دعمت مليشيات ومنظمات ارهابية في الشرق الاوسط. فهي لم تزود حزب الله باسلحة كيمياوية او بيولوجية ولم تقدم للمليشيات العراقية وسائل إسقاط الطائرات الحربية الاميركية. إذ يدرك حكام ايران ان مثل هذه الافعال الاستفزازية قد تُعرض حكمهم للخطر وتستدعي الثأر، هذا من ناحية. ومن ناحية اخرى، فانه من خلال المُزاوجة بين اللغة الخطابية الحادة والدعم المحدود عملياً فحسب، تكون المؤسسة الدينية قادرة على كسب التهليل الشعبي في الحال لتحديها الغرب ومعارضة الولايات المتحدة واسرائيل دون تعريض نفسها لعقوبة شديدة الوطأة . ومن الارجح الا تعمل ايران نووية على نحو مختلف على الاقل نظراً لامكانية حصول انتقام اميركي عنيف . كما انه ليس من الارجح ان تصبح ايران باكستان جديدة تبيع المواد والوقود النووي للدول الاخرى . ومن المفيد القول ان توقعات فرض مزيدٍ من العقوبات وحصول مواجهة عسكرية مع الولايات المتحدة من المحتمل ان تردع ايران عن التصرف بتهورٍ.

لا غرو في ان ايران نووية قد تطرح على نحو لا يُنكر مخاطر جديدة في الشرق ا لاوسط، لا سيما في البدء أي في حالاتها الأكثر طيشاً وتهوراً على الارجح . وقد تقلب رأيها فيما يتعلق بالشرق الاوسط سعياً منها وراء الضغط من اجل منافع مفترضة مُتأتية من قدرتها حديثة الوجود ولعلها تضع مقيدات (حدود) الولايات المتحدة موضع الاختبار. بيد ان الملالي سيجدون من العسير ترجمة الوضع النووي لايران الى منفعة سياسية ملموسة . واذا ما اوضحت الولايات المتحدة ان الافعال المتسرعة الصادرة عن الملالي سوف تكلف غالياً، فمن الارجح الا يُقدموا عليها.

الموجات الصغيرة في الشرق الاوسط

عند تقييم تداعيات تحول ايران الى قوة نووية، فان من المهم ان يوضع في الحسبان كيف من المحتمل ان تتصرف ايران فحسب بل كيف سيكون رد فعل الدول الاخرى على هذه المُحصلة.. وما الذي يمكن ان تفعله الولايات المتحدة للتأثير في ردود افعال هذه الدول . لا مراء في ان تحول ايران الى قوة نووية لن يقلص دور واشنطن الى المراقبة سلباً للاحداث في المنطقة بل ستحتفظ بقدرة هائلة لرسم ما تفعله جارات ايران وما لا تفعله حقاً.

ولعل من اليسير وضع مخطط للسيناريو الذي يمكن ان يرسمه تحول ايران الى قووة نووية. إذ ستتصرف إسرائيل كواضع اصبعه على الزناد لاطلاق سلاح نووي عند انذ ار اللحظة.. سعياً لابعاد اقدار البلدين بعيداً عن الإبادة . وستهرول مصر والسعودية وتركيا للانضمام للنادي النووي. وستنهار معاهدة حظر الانتشار (NPT) مطلقة العنان لموجة من الانتشار النووي في ارجاء المعمورة.

ويمكن ان يتحقق مثل هذا السيناريو . واذا ما حصل ذلك، فا نه يعتمد بدرجة كبيرة على الكيفية التي سترد فيها الولايات المتحدة والدول الاخرى بدءاً باسرائيل، على تحول ايران الى قوة نووية. وسواء امتنع رئيس الوزراء الاسرائيلي بنيامين نتنياهو عن القيام بتوجيه ضربة وقائية ضد منشآت ايران النووية او اختار شن هجوم وأخفق فيه، فان الحكومة الاسرائيلية ستستمر في ان تعد النظام الايراني تهديداً لوجود اسرائيل ويتحتم الرد عليه بأي وسيلة ممكنة، بضمنها استخدام الاسلحة النووية. ونظراً لتاريخ اسرائيل الفريد من نوعه وإنكار احمدي نجاد، ذلك الإنكار الجدير بالازدراء، للمحرقة اليهودية (الهولوكوست)، فلن يتحمل أي رئيس وزراء اسرائيلي وزر التفكير خلاف ذلك.

لا جدل في ان يتباين خطر مواجهة نووية تقع بين اسرائيل وايران وفقاً لطبيعة الترسانة النووية لطهران وحجمها . إذ ان ايران لديها القدرة فحسب لبناء سلاح نووي قد تطرح تهديداً اقل عجالة مما قد يطرحه امتلاك ايران لسلاح فعلي. فامتلاك ايران لقنبلة قد يخلق وضعاً غير مستقر بطبيعته لكلا الطرفين فيه دافع توجيه الضربة الاولى: ايران لتفادي خسارة ترسانتها، واسرائيل لإبقاء طهران بعيدة عن استخدام تلك الترسانة . وقد تعتمد حسابات الحكومة الاسرائيلية حول ايران على تقييمها لصدق عزيمة الولايات المتحدة وقدرتها على ردع ايران. وثمة عدد من العوامل يرسم عملية صنع القرار الاسرائيلي: دعم الولايات المتحدة الثابت لاسرائيل، وشكوك اسرائيل بشأن قيادة الولايات المتحدة بعد اخفاق واشنطن في وقف ايران عن المضي قُدماً في ان تصبح نووية، ورد ود فعل واشنطن إزاء تحول ايران الى قوة نووية.

وثمة خطر اخر ينبغي احتوائه الا وهو الانتشار النووي في الشرق الاوسط. إذ ربما يسعى المنافسون الاقليميون لايران للحاق بركبها . على اية حال، يقترح التاريخ بان الدول تصبح نووية لاسباب تتعدى لعبة "واحدة بواحدة". إذ قد تتراجع العديد من الدول عن امر امتلاك اسلحة نووية حتى وان امتلكها اعدائها . فقد اثار مسعى الصين وراء امتلاك القنبلة في ستينيات القرن العشرين مخاوف ان تحذو اليابان حذوها . ولكن بقيت اليابان غير نووية بعد مضي ما يناهز نصف قرن . وعلى الرغم من ان لدى اسرائيل ما يربو على مئتي سلاح نووي، الا انه لا احد من جاراتها حذت حذوها سواء مصر التي خاضت وخسرت اربع حروب مع اسرائيل او القوى الاقليمية مثل السعودية او تركيا.

لا ريب في انه يمكن لقنبلة نووية ايرانية ان تغير هذه الحسابات . إذ خلص مجلس الاستخبارات القومي الاميركي في تقرير عام ٢٠٠٨ بان " القدرات النووية المتنامية لايران مسؤولة جزئياً عن موجة الاهتمام بالطاقة النووية في الشرق الاوسط ". ويمكن ان تعمل برامج الطاقة النووية بوصفها الاساس لحافز الاسلحة النووية. الا انه ليس من اليسير على بلدان المنطقة الحصول على اسلحة نووية . إذ يفتقر الكثيرون الى البنية التحتية لتطوير اسلحتهم النووية والصواريخ المطلوبة لاطلاقها. وربما تُصاب مصر وتركيا بالشحوب * لحساب بناء ترسانة نووية . إذ كان الباكستانيون راغبين في "أكل الحشيش" مقابل امتياز الانضمام الى النادي النووي مثلما قالها ذات مرة على نحو مشهور الزعيم الباكستاني ذو الفقار علي بوتو، ولكن ليس لدى الجميع الاستعداد عينه.

وبوضع اعتبارات التكلفة جانباً، قد يستغرق الامر سنوات ليطور الطامحون النوويون قدرات نووية طبيعية. إذ يحتاجون الى بناء مفاعلات نووية، وحيازة وقود نووي، واتقان تكنولوجيات التخصيب او المعالجة، وبناء الاسلحة ووسائل اطلاقها . وبينما يسعون لذلك، فان لدى الولايات المتحدة والدول الاخرى الفرصة لزيادة تكاليف الانتشار . في الحقيقة، ترتبط المصالح الاقتصادية والامنية لمصر والسعودية وتركيا، على العكس من مصالح ايران، بالولايات المتحدة والاقتصاد العالمي الاوسع. عليه، يضع تطوير الاسلحة النووية هذه المصالح في خطر . وقد تخاطر مصر بمساعدة اقتصادية وعسكرية قيمتها ١,٥ مليار دولار تتلقاها من واشنطن كل عام. في حين تخاطر السعودية بالضمان الامني الاميركي، وتركيا بمكانتها في حلف الناتو . ونظراً لروابطها التجارية واستثماراتها الواسعة في الولايات المتحدة واوروبا، تكون هذه البلدان أكثر عرضة من ايران جراء أية عقوبات اقتصادية يفرضها . او يمكن ان يفرضها . القانون الاميركي على ناشري الاسلحة النووية.

* يقصد الكاتبان ان يجوع سكان هذين البلدين (مصر وتركيا). (المترجمة)

وقد تحاول الدول الساعية وراء الاسلحة النووية ان تتجنب هذه العقبات الت كنولوجية والسياسية من خلال شراء الاسلحة بدلاً من تصنيعها . إذ تقترح حيازة السعودية السرية لصواريخ بالستية متوسطة المدى من الصين في ثمانينيات القرن العشرين انه يمكن حتى للدول التي تعتمد على الضمانات الامنية الاميركية ان يتم اغواءها لكسب انضمامها الى النادي ا لنووي. وعلى الرغم من عدم ارجحية ان تبيع القوى النووية الخمس المعترف بها، ولا حتى الهند، اسلحة نووية الى دولة اخرى، الا ان باكستان وكوريا الشمالية يمكن ان تكونا امراً اخر. إذ لدى البلدين تاريخ من التحرض على الانتشار النووي؛ وان باكستان تمتلك روابط حميمية مع نظيراتها من البلدان ذات الاغلبية المسلمة. لاجرم في القول انها تُقدم على تكبد تكلفة سياسية باهضة من خلال بيعها اسلحة نووية كاملة. وقد تخسر باكستان المساعدة الخارجية الاميركية وتقود الولايات المتحدة باتجاه تعاون أوطد مع الهند، عدو باكستان اللدود . ولعل كوريا الشمالية تُعّرض للخطر المساعدة الاقتصادية التي تحصل عليها من الصين والتي يحتاجها النظام للبقاء في السلطة.

واذا ما تدبر مشتري ما امره في ايجاد بائع ما، فان عليه ان يتفادى ضربة وقائية تقوم بها اسرائيل اذا ما أصبح امر الصفقة معروفاً قبل ان يتم تفعيل السلاح . ومن ثَّم عليه ان يواجه التداعيات السياسية والاقتصادية المحتومة . (في عام ١٩٨٨، تفادت السعودية حصول شرخ كبير في علاقاتها مع واشنطن بشأن صفقة صواريخ عقدت مع الصين من خلال الموافقة، في نهاية المطاف، على توقيع معاهدة حظر الانتشار النووي (NPT) والالتزام بها .) علاوة على ذلك، فان أي بلدٍ يشتري سلاحاً نووياً عليه ان يشعر بالقلق حول اذا ما كان هذا السلاح يعمل فعلاً . ففي السياسة العالمية، كما في الحياة اليومية، يكون الاحتيال ممكناً . بالتالي، قد يضع الحصول على سلاح نووي أي بلدٍ في اسوء العوالم: امتلاك سلاح نووي لا قيمة له يكون نقطة جذبٍ لأي هجومٍ.

واذا ما قررت جارات ايران عدم السعي وراء الحصول على اسلحة نووية فانها يمكن ان تنتهج منهجاً معاكساً وتسعى الى استرضاء طهران. ويكون الاغراء كبيراً لدى دول الخليج (العربي) الصغيرة مثل البحرين والكويت التي تقع قريبة، على نحو غير مريح، من ايران، ولديها عدد كبير من السكان الشيعة . وقد يضر مثل هذا الميل نحو ايران بالمصالح الاميركية في المنطقة . إذ ان الاسطول الخامس الاميركي الذي يتخذ من البحرين قاعدة له، والقواعد العسكرية الاميركية في البحرين والكويت والامارات العربية تكون حاسمة في مشروع القوة الاميركية وطمأنة حلفاء الولايات المتحدة في المنطقة . ولما كانت هذه الحكومات تؤمن بان واشنطن ملتزمة بأمنها فان امر

الاسترضاء (ايران) لن يحظى بالقبول والرضا . وقد يعني انتهاج تلك الاستراتيجية * نبذ المساعدة الاميركية والمراهنة على رحمة طهران. ولكن في ظل غياب ضمان امني اميركي، تكون ايران حرة في ان تمارس داخل هذه البلدان نشاطات تخريبية جداً كان القصد من وراء استرضاء حكوماتها لايران الحيلولة دون وقوعها.

وعلى الرغم من احتمالية الا يعني تحول ايران الى قوة نووية نهاية جهود وقف الانتشار في اجزاء اخرى من العالم الا انها ستُعّد انتكاسة لنظام حظر الانتشار النووي من خلال إظهار ان القوى الكبرى غير قادرة أو راغبة في العمل على نحو جماعي لوقف ناشري الاسلحة، هذا من جهة. ومن جهة اخرى، فان معظم الدول المُلتزمة بمعاهدة حظر الانتشار النووي لديها اسباب قومية مُلزمة للقيام بهذا الالتزام. فلربما لا تشعر بانها مُهددة من قبل قوة نووية، او ربما تغطيها مظلة امنية لدول اخرى ، او افتقارها الى امكانات مالية او تكنولوجية لبناء قنبلة . وسوف لن يغير نجاح ايران في تطوير سلاح نووي من هذه الحسابات. ولن تمنع واشنطن من المُ ضي قدماً بجهودها لتعزيز مبادرة امن الانتشار النووي (Proliferation Security Initiative) وهي مسعى متعدد الاطراف بقيادة اميركية بدأته إدارة بوش يسعى الى وقف المُتاجرة باسلحة الدمار الشامل، وفرض وقف على انتاج مزيدٍ من المواد المُشعة، وتشديد الانظمة العالمية المتعلقة بالمتاجرة بالمواد النووية . وبطريقة اخرى، جعل من العسير على التكنولوجيات النووية الانتشار.

يمكن القول ان حيازة ايران لقنبلة نووية يمكن ان تكون له نتائج كاريثية في الشرق الاوسط. الا ان لدى واشنطن فرصة كبيرة للتأثير وتقييد الطريقة التي ستتصرف بها جارات ايران إزاء وضعها الجديد . وسيشكل فارقاً اذا ما عكفت واشنطن على طمأنة اسرائيل ام زادت من مخاوفها. كما سيكون مهماً اذا ما واجهت واشنطن مساعي الانتشار الاقليمي ام غضت طرفها عنه، مثلما فعلت مع باكستان في ثمانينيات القرن العشرين. كما سيشكل فارقاً اذا ما ظافرت جهودها لدعم معاهدة حظر الانتشار النووي (NPT) أم تخلت عنها . وللوقوف بوجه هذا السيناريو الكابوسي، ستحتاج الولايات المتحدة الى التفكير ملياً بكيفية ان تزيد من تأثيرها في المنطقة الى حدوده القصوى.

أقول كلا، كلا، كلا

لا غرو في ان طهران خصم يتكلم بمفردات ايديولوجية تريد ان تصبح قوة اقليمية مهيمنة وقادرة على العمل على هواها . بيد انها، في الوقت عينه، تقر بحدود امكاناتها وتريد إبقاء قبضتها

* أي استراتيجة استرضاء ايران من قبل دول الخليج (العربي). (المترجمة)

على السلطة والعمل بين جارات يشعرن بالقلق. وان حيازتها لقنبلة نووية او قدرتها على تصنيع قنبلة نووية لا يحتاج الى إعادة صياغة الشرق الاوسط. على الاقل اذا ما عملت الولايات بثقة وحكمة لاستغلال نقاط ضعف ايران.

يتحتم ان تبدأ أي استراتيجية لاحتواء ايران بالاقرار بان هذا المسعى ينبغي ان يكون مختلفاً عن ستراتيجية احتواء الاتحاد السوفيتي (السابق). إذ تطرح ايران تهديداً مختلفاً . فخلال السنوات الاولى من الحرب الباردة، سعى صُناع القرار الاميركان الى حماية البلدان ذات طريقة التفكير المشابهه لطريقتهم من أي غزو سوفيتي يمكن ان يفرض على هذه البلدان حكماً شيوعياً، او حمايتها من انتشار ازمة اقتصادية يمكن ان تُخلف سيطرة شيوعية من الداخل. لقد تمثلت استراتيجية صُناع القرار الاميركان في العمل بهمة ونشاط مع حلف الناتو، وإطلاق خطة مارشال . ويتوجب ان تعكس استراتيجية الاحتواء الاميركية ازاء ايران حقائق مختلفة اليوم . إذ لا تسعى ايران الى اجتياح جاراتها، ولا تقوم دعوتها الايديولوجية على وعودٍ بتحقيق عدالة اقتصادية بل تسعى الى ان تُثبت نفسها قوةً مهيمنةً في المنطقة في وقتٍ تحافظ فيه على سيطرتها السياسية من الداخل.

لا ريب في ان الردع يكون، بالضرورة، حجر الاساس في أي ستراتيجية اميركية لاح تواء ايران نووية . فالنجاح، بأي حال، يكون مضموناً . ويمكن ان يخفق الردع كما فعل خلال ازمة الصواريخ الكوبية في عام ١٩٦٢ وفي مراحل حرجة عدة اخرى من الحرب الباردة . ولعل اهداف ايران في الصعود من جديد وجنون العظمة ازاء القوة الاميركية تجعل من البلد عصياً على الرد ع على نحو فريد من نوعه . بيد ان هذا الاستنتاج يُعيد . على نحو مريح وخاطئ في الوقت عينه . صياغة تاريخ المواجهات الاميركية مع القوة النووية الصاعدة في ضوء أكثر لطفاً مما هو مستحق . ففي بداية الحرب الباردة، بالكاد رأى المسؤلون الاميركان الاتحاد السوفيتي بوصفه قوة الامر الواقع. وفي ستينيات القرن الماضي، بدت الصين وكأنها النظام المارق المطلق . فقد تدخلت في كوريا، وشنت حرباً على الهند، وقمعت شعبها، وراح ماو يتباهى بانه على الرغم من ان الحرب النووية قد تقتل نصف سكان العالم الا انها قد تعني ايضاً "محو الامبريالية من ع لى وجه الارض وان يبات العالم كله شيوعياً."

اليوم، يواجه صُناع السياسة الاميركية العاكفين على صياغة استراتيجية ردع لايران، تحدي ان يحددوا، على نحو لا يكتنفه الغموض، نوعية السلوك الذي سيسعون الى ردعه؛ وماذا سيفعلون بشأنه. إذ حينما تقدم واشنطن سياستها على الملأ حول كيفية احتواء ايران نووية، فان هذه السياسة ينبغي ان تكون واضحة بشأن: عدم شن حرب تقليدية ضد بلدان اخرى؛ وعدم استخدام او

نقل اسلحة او مواد او تكنولوجيات؛ وعدم تقديم الدعم لنشاطات ارهابية او تخريبية . كما ينبغي لهذه السياسة ان توضح ان ثمن انتهاك ايران لهذه المحظورات الثلاثة قد يتمثل في انتقام عسكري اميركي بأي الوسائل وبكلها الضرورية والمتوفرة شاملة الاسلحة النووية.

وقد يكون التعهد بردع أي هجومٍ تقليدي الايسر من بين المحظورات الثلاثة . ومرد الامر الى ان قدرة ايران على بسط قوة عسكرية مستدامة خارج حدودها تكون محدودة. ومن غير المرجح ان تتطور هذه القدرة على نحو أساسي في أي وقتٍ قريباً . بل وقد يفرض على ايران المزيد من الحظر على الاسلحة اذا ما عبرت العتبة النووية . وعند مستوياتها الحالية، تكون القوات الاميركية في المنطقة أكثر من كافية لردع ايران عن القيام بغارات داخل العراق او القيام بعمليات برمائية عبر الخليج (العربي) . او وقفها اذا ما وقعت.

وقد يطرح ردع ايران عن استخدام الاسلحة النووية أو التهديد بها مجموعة من التحديات المختلفة. فما دامت تفتقر ايران الى القدرة على توجيه ضربة للولايات المتحدة بصاروخ ذي رأس نووي، يكون بمقدور الولايات المتحدة ان تهدد بالرد عسكرياً اذا ما استخدمت ايران قنبلة نووية او هددت باستخدامها ضد أي طرف. ولكن يمكن لهذا ان يتغير في حال طورت ايران صواريخ طويلة المدى. وربما تحاول طهران ايضاً ردع الولايات المتحدة من خلال التهديد بمهاجمة اوروبا الامر الذي يُثير مخاوف معروفة عن قدرة ما يسمى بردع متوسع أي قدرة الدولة الواحدة على ردع أي هجوم يقع على دولة اخرى . لا عجب في ان تلقي هذه الاحتمالات الضوء على أهمية تطوير دفاعات قوية ومتعددة الطبقات ضد الصواريخ البالستية. وبذا، فان قرار إدارة اوباما في إعادة توجيه الدفاعات الاميركية ضد الصواريخ في اوروبا لتوفير الحماية من صواريخ قصيرة المدى في وقتٍ تستمر فيه بتطوير دفاعات ضد صواريخ أبعد مدى، يكون المنهج الصحيح تماماً.

ويتمثل التحدي الاقسى في ضمان توفير ردع ثابت بين اسرائيل وايران . وفيما يتعلق بهذه القضية فان درجة تطوير البرنامج النووي الايراني النهائية تكون بالغة الاهمية : إذ ربما تطرح ايران مُسلحة باسلحة نووية تهديداً أكثر خطورة مما لو ان لايران القدرة فحسب على بنائها . بالتالي، من الضروري ان تواصل واشنطن تطبيق ضغط دبلوماسي واقتصادي لإبقاء ايران، في حال تدب رت امرها في إكمال دورة الوقود، بعيدة عن اتخاذ الخطوة النهائية. كما ينبغي ان تتعهد الولايات المتحدة علناً بالرد بأية وسيلة تختارها في حال استخدمت ايران الاسلحة النووية ضد إسرائيل . وربما يُكمّل هذا قدرة الضربة الثانية اياً كانت التي تمتلكها اسرائيل. واذا ما احتاج الاسرائيليون الى التزام رسمي لطمأنتهم أكثر، فان هذا التعهد يمكن ان يتم في اتفاقية او معاهدة تنفيذية . وكتعبيرٍ ملموسٍ عن

التزامها، ينبغي ان تكون واشنطن مستعدة لنشر قوات اميركية على الاراضي الاسرائيلية تعبيراً عن الترابط الذي يُظهر ان الولايات المتحدة ملتزمة، على نحو لا ينفصم، باسرائيل في اعقاب أي هجومٍ ايراني.

وينبغي ان تُعلم واشنطن طهران بانها قد تقوم بتوجيه ضربة وقائية بأي وسيلة تّعُدها ضرورية اذا ما وضعت ايران قواتها النووية على اهبة الاستعداد . كما ينبغي ان تضع واشنطن اسرائيل والجارات العربية لاس رائيل تحت مظلة دفاعها الصاروخي . فكلما اضحت ايران أكثر عدوانية، كلما مالت جاراتها للعمل مع واشنطن لبناء دفاعات صاروخية على اراضيها.

ان ردع ايران عن نقل الاسلحة والمواد التكنولوجية النووية الى دول أو لاعبين غير الدول، يتطلب مجموعة اخرى من الاجراءات. في اغلب الاحوال، لدى ايران دواعي عدم ممارسة مثل هذه النشاطات المحفوفة بالخطر . ولكن يمكن ان تقع تحت اغواء استغلال عُسرة اقتفاء اثر المُتاجرة بالمواد النووية . وتحتاج الولايات المتحدة وحلفاؤها للعمل بحزم للحيلولة دون سعي طهران وراء تحقيق النفع في السوق النووي الدول ي. على سبيل المثال، عبر مبادرة امن الانتشار النووي ومن خلال قرارات الامم المتحدة التي تفرض عقوبات اضافية على ايران وشركائها في تجارة المواد النووية المحتملين. وللضغط على ملالي ايران الحكام بحيث يكون من المهم لهم على نحو استثنائي السيطرة على أية ترسانة نووي ة ربما يطورونها او يحصلون عليها، ينبغي على واشنطن ان تُحمل طهران مسؤولية أي نقل نووي سواء كان مخولاً ام لا. ولا يمكن السماح لطهران بالافلات من العقاب او الانتقام بزعمها فقدان السيطرة على ذلك. ان الاستثمارات المزيدة في مراقبة ايران والتجسس عليها قد تكون حاسمة. إذ يجب ان تطور الولايات المتحدة قدرتها في تعقب الاسلحة والمواد والانقاض النووية، وتبرهن وتُعلن على الملأ فيما اذا جاءت هذه المواد من ايران (أو أي بلدٍ اخر له صلة بهذا الامر). تكون مثل هذه المناظرات الجدلية الشرعية النووية حاسمة في تقرير مَنْ هو المسؤول عن النقل النووي. كما تكون حاسمة في بناء الدعم لأي رد فعل انتقامي اميركي ضد طهران اذا ما كانت المتهمة بالجريمة.

لا ريب في ان ردع الدعم الايراني للجماعات الارهابية والتخريبية . وهو المحظور الثالث الذي ينبغي على الولايات المتحدة فرضه، يكون امراً عسيراً. إذ تجري مثل هذه النشاطات سراً الامر الذي يُعسر تحديد بدقة مَنْ هو المشترك في الامر . لذا، ينبغي ان يشجع مثل هذا التعقيد على تحسين قدرة الدوائر الاستخباراتية الاميركية العاملة لوحدها وبالتنسيق مع شركائها في الخارج لتعقب النشاطات السرية لايران.

ما يجب فعله وما لا يجب

علاوة على ان ايران تُعّد مسؤولة عن انتهاك أي من "اللاءات الثلاث"، فان على استراتيجية الاحتواء الاميركية ان تسعى الى التأثير، بل وحيثما يكون ضرورياً، تقييد اصدقاء ايران في الشرق الاوسط. إذ ان أي دبلوماسية فاعلة وحيوية تخفف من حدة الخلاف ات بين اسرائيل وجاراتها قد تقوض جهود ايران في استغلال حالة الغضب في المنطقة . ولعل دفعة مُنسقة، دبلوماسية او اقتصادية، ترمي الى تحسين حياة الفلسطينيين قد تقلل من قبول ايران لدى الفلسطينيين . وقد لا يوهن جر سورية الى عملية سلام اسرائيلية. فلسطينية شاملة رواب ط طهران مع دمشق فحسب بل ويكبح قدرة ايران على تزويد حزب الله بالاسلحة . وينبغي ان تسعى واشنطن الى مزيدٍ من تقييد الوصول الاستراتيجي لايران من خلال تعزيز القدرات المؤسساتية والعسكرية لافغانستان والعراق . وان تُطمئن واشنطن دول الخليج (العربي) بانها مُلتزمة بالمحافظة على توازن القوى القائم الذي يتطلب توسيع اتفاقيات التجارة وتعزيز اجهزتها الامنية والاستخباراتية وتطوير منهج يكون أكثر تكاملاً للتخطيط الدفاعي في المنطقة . في الوقت عينه، ستحتاج الولايات المتحدة الى ان تنصح هذه الحكومات بالعدول عن قمع الاقليات الشيعية ، وهي ممارسة تقدم يد العون لطهران من غير قصد. وان تعمل بمواظبة على منع الكثير من بلدان الشرق الاوسط من ان تصبح نووية . فلا يمكن للولايات المتحدة ان تغض الطرف مرة اخرى كما فعلت مع باكستان خلال ثمانينيات القرن العشرين.

لا مراء في ان يُشكل الاقناع واللهجة فارقاً. إذ يجب ان تضع واشنطن في خُلدها ان دخول ايران الى النادي النووي سوف تقرأه اسرائيل والدول العربية على انه اخفاق للارادة السياسية للولايات المتحدة، وانه إظهار لحدود قوة الولايات المتحدة . ولا تستطيع واشنطن ان تتحمل ان ترفق مشكلة مصداقيتها بالتردد او التأرجح. فقد يقوض أي رد فعل اميركي غير حاسم الجهود الرامية الى ردع ايران وطمأنة اصدقاء الولايات المتحدة وحلفائها في المنطقة.

ينبغي ان تدفع واشنطن ايضاً قوى عظمى اخرى لاحتواء التهديد الايراني . فقد رعى الاعضاء الدائمون الخمسة في مجلس الامن قرارات عديدة تطالب بان توقف ايران نشاطاتها النووية وان تتعاون مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية . لا ريب ان لهذه الدول مصلحة راسخة في معاقبة ايران، المُوّقع الاصلي على معاهدة حظر الانتشار النووي (NPT) اذا ما نكثت بعهدٍ دام عقودٍ من الزمن بالبقاء قوة غير نووية. وقد يقوض، بشكل اساسي، عدم الاقدام على فعل شئ سلطة مجلس الامن في الامم المتحدة وبمكانة دوله بصفتها اعضاء دائميين للمجلس. ويتحتم الضغط على اوروبا لتتعهد بقوات وسفن بحرية للمحافظة على تدفق حر للملاحة عبر الخليج (العربي). وان توقف

روسيا تعاونها النووي مع ايران وان تمتنع عن بيع الاسلحة التقليدية اليها . كما يجب الضغط على الصين لتسدل الستار على استثماراتها في قطاع الطاقة الايرانية الذي فعل الكثير لاشعال جذوة النزعة القتالية لدى ايران. وعلى الولايات المتحدة ان تبذل الكثير من الجهد لاحتواء ايران نووية، الا ان أي استراتيجية احتواء مُنسقة لا يجب ان يكون لها دعم اقليمي فحسب بل ولها طابع دولي.

وبقدر اهمية ما يجب ان تفعله واشنطن لاحتواء ايران تكون اهمية ما يجب الا تفعله . فاذا ما حصلت ايران على قنبلة نووية، فان الولايات المتحدة قد تقع تحت إغواء الاستجابة لتوسيع توسيعاً جوهرياً وجود القوات الاميركية في الشرق الاوسط . الا ان هذا لن يزيد، على نحو يُعتد به، قدرة واشنطن على ردع ايران عن شن هجوم نووي او تقليدي . فثمة ما يكفي اساساً من القوات الاميركية في المنطقة لهذا الغرض بل يمكن ان يعود هذا الامر بالنفع على وكلاء طهران في المنطقة من خلال تأجيج مشاعر مُعاداة اميركا وإثارة اضطراب مدني في الخليج (العربي).

وقد تقع واشنطن ايضاً تحت اغواء اللجوء الى مزيدٍ من تقويض اقتصاد ايران من خلال فرض عقوبات اقتصادية واسعة وهي فكرة تتمتع بدعم كبير في الكابيتول هيل *. الا ان مثل هذه الاجراءات قد تنتهي الى معاقبة مواطني ايران المحرومين فحسب (وهو الامر الذي يعلل رفض قادة المعارضة الايرانية لهذه الاجراءات بشدة). عليه، يتمثل منهج العمل الأكثر حكمة في تعزيز ومراقبة افضل على سيطرات التصدير الموجودة بغية التأكد من ان الصناعات النووية والدفاعية الايرانية لا تصل الى تكنولوجيات ذات استخدام مزدوج، ودعم العقوبات الموجهة ضد القيادة الايرانية والشركات التجارية التي يسيطر عليها الحرس الثوري الايراني . ويجب ان تدفع واشنطن، داخل الامم المتحدة وخارجها، باتجاه فرض حظر على سفر القادة الايرانيين، وممارسة اجراءات تحرم ايران من الوصول الى اسواق رؤوس الاموال، على سبيل المثال . كما على واشنطن ان تجد سُبلاً لمعاقبة الاعمال التجارية التي تستثمر في الصناعة النفطية الايرانية الخَرِبة. وقد يُصيب فرض عقوبات ذكية من هذا النوع بالأذى قادة ايران ويعفي الايرانيين العاديين الذين لا يملكون القول فيما ي قوم به النظام من افعال.

وينبغي ان تمتنع الولايات المتحدة عن توسيع، بدرجة كبيرة، مدى الاسلحة التي تبيعها لدول الخليج (العربي) التي ترى في الولايات المتحدة ضامناً عسكرياً ومزودها الرئيس بالاسلحة . والى حد ما، ستكون زيادة مبيعات الاسلحة ضرورية: إذ قد تعد الحكومات العربية في المنطقة مثل هذه المبيعات دلالة ملموسة على قوة التزام واشنطن بدفاع هذه الدول . واذا ما تراجعت واشنطن عن

* مبنى الكونجرس الاميركي بواشنطن. (المترجمة)

هذا الامر فستبحث الحكومات العربية عن الاسلحة في مكانٍ ما، هذا من جهة . ومن جهة اخرى، فان ترك ابواب مستودعات الاسلحة مُشرعة على اتساعها قد يفعل القليل لتحقيق الامن للمُشترين ويزيد من عدم الاستقرار في المنطقة.

وقد تركز سياسة مبيعات اسلحة اميركية ذكية على تقديم انظمة اسلحة مُصممة لردع هجوم ايراني أو تساعد على احتوائه، مثل انظمة الدفاع الصاروخية وانظمة القيادة والسيطرة التي تقدم انذاراً مبكراً عن الافعال الايرانية.

اخيراً، ينبغي ان تقاوم واشنطن أي حث على توقيع معاهدات امنية متبادلة مع البلدان العربية في الشرق الاوسط . (بيد ان اسرائيل التي تكون علاقاتها مع ايران مختلفة اساساً عن علاقاتها مع أي قوى اخرى في المنطقة، تكون حالة خاصة .) مثل هذه الم ساعي قد تفعل القليل لتعزيز الردع ويمكن ان تفعل الكثير لتقويضه . وربما يتسأل العديد من اعضاء مجلس الشيوخ الاميركي الذين سيكون عليهم التصويت على أية معاهدة تحالف عما اذا كان ينبغي ان تربط الولايات المتحدة نفسها اكثر بالانظمة السلطوية التي يجدها العديد من الام يركان بغيضة. وقد يفاقم مشهد هذا النقاش من الشكوك في الشرق الاوسط بشأن عمق التزام الولايات المتحدة . ولعل جهود بناء تحالفات رسمية تقود ايران ايضاً الى الاعتقاد بان أي بلدٍ يُترك خارج هذه الاتفاقيات يكون لعبة مشروعة للترهيب أو الهجوم . ويجب ان تكون الولايات المتحدة متنبهة إزاء عدم استحضار تكرار حسبان حساب كوريا الشمالية في عام ١٩٥٠ الامر الذي وضع كوريا الجنوبية خارج محيط الدفاع الاميركي.

بدلاً عن ذلك، يجب ان تشجع الحكومة الاميركية على تشكيل شبكة تحالف اقليمي تَصُف البلدان العربية في تجمع دفاعي يكون أكثر تماسكاً. ويمكن ان تُنظم الشبكة على غرار منظمة حلف الشرق الاوسط (عُرفت فيما بعد بمنظمة الحلف المركزي) وهي ترتيب أمني بين ايران وباكستان وتركيا والمملكة المتحدة والعراق لمدة ما (مع مشاركة الولايات المتحدة في اللجان العسكرية والامنية للمنظمة) والذي كان قائماً من عام ١٩٥٥ الى ١٩٧٩. وقد يضمن تحالف من هذا النوع جميع منافع التزامٍ على نطاق المنطقة بالردع دون تعريض الولايات المتحدة وحلفائها لتعقيدات معاهدات امنية رسمية ثنائية أو متعددة الاطراف.

اوقات خطرة

قد يجعل تحول ايران الى قوة نووية من الشرق الاوسط مكاناً أكثر خطورة: فقد يزيد من حدة التوترات، ويقلل من هامش الخطأ، ويرفع من توقعات حصول كارثة على نطاق واسع . عليه،

ينبغي على المجتمع الدولي الا يتباطأ في جهوده وقف تقدم ايران . ولكن نظراً لعدم اكتراث الملالي الظاهر إزاء منافع الانخراط والالتزام، يجب ان يضع صُناع السياسة الاميركان في خُلدهم الآن ما الذي ينبغي فعله اذا ما حصلت ايران على القنبلة.

ولا يكون الاحتواء سياسة مضمونة كما لا انه يتمتع بالكمال . فمهمة احباط دعم ايران لحماس وحزب الله قد تكون عسيرة مثلما يكون عسيراً امر احتواء دعم ايران للجماعات الارهابية والتخريبية في المنطقة . فمن الارجح ان تغري الحاجة لكسب ود الديكتاتوريات العربية واشنطن في ان تضع على الرف مطالبتها باجراء اصلاحات سياسية داخلية في تلك البلدان . على الرغم من ان هذه الاصلاحات قد تقلص قدرة ايران على التدخل في هذه البلدان من خلال تحسين حظوظ الاقليات التي دون ذلك قد تكون عرضة للوقوع تحت تأثير طهران. يتطلب شأن المحافظة على دعم القوى العظمى للضغط على ايران قطع النظر عن السلوك الصيني أو الروسي حول امور اخرى يمكن الاعتراض عليها. وقد لا يكون الاحتواء بديلاً عن استخدام القوة . بل على العكس، إذ يعتمد نجاحه على صدق عزيمة الولايات المتحدة في استخدام القوة ضد ايران او التهديد بالقيام بذلك في حال عبرت طهران الخطوط الحمراء التي وضعتها واشنطن. ولعل ممارسة ضغط دون التزام بمعاقبة الخروقات يكون وصفة للاخفاق . ولشرق اوسط يكون أكثر عنفاً وخطورة.

ويمكن ان يوفر الاحتواء الوقت لواشنطن لاقناع الطبقة الحاكمة الايرانية بان اللعبة الاستعادية* التي تلعبها لا تستحق ببساطة هذا العناء . مع ذلك، وحتى مع دفع واشنطن باتجاه احتواء ايران، فانه ينبغي عليها ان تكون مستعدة لاحتمالية ان تغير طهران حساباتها. وللضغط على طهران في الاتجاه الصح يح، ينبغي على واشنطن ان تشير الى انها تسعى الى ايجاد نظام في الشرق الاوسط يكون سلمياً ويديم نفسه. وستبقى الولايات المتحدة جزءاً من الهندسة الامنية للمنطقة على المدى المنظور الا انها لا تحتاج الى الاحتفاظ بموقف معادي إزاء ايران. ان جمهورية اسلامية تتخلى عن طموحاتها النووية وتقبل بالاعراف الدولية السائدة وتحترم سيادة جاراتها، قد تكتشف بان الولايات المتحدة راغبة في العمل مع مطامح ايران القومية المشروعة بدلاً من العمل ضدها.

* أي استعادة امجاد الماضي. (المترجمة)